اسم الدرس : مقومات جيل الإصلاح

تصنيف الدرس : درس

بسم الله والصلاة والسلام على رسول الله صلى الله عليه وسلم

من الكلمات التي نسمعها ونُؤثِّر في الشباب، أن الشباب قد يوصف بوصف معين يستثير همته، فمثلًا نسمع كلمة جيل الإصلاح، أو أن هذا هو الجيل الذي يعوَّل عليه، مثلاً هذا الجيل الذي قام بالثورة، هذا جيل الفتح، هذا جيل النصر، هذا جيل كذا..

التسميات هذه تستثير المشاعر عند الشباب أنه فعلاً عليه دور في الإصلاح، أنه جزء من هذه الأمة، منتمي لكيانها... ليس مجرد شاب كل ما يطلب منه أنه يتفوق في دراسته، ويعمل في عمل متميز ويتزوج البنت التي يحبها التي رآها في الجامعة مثلاً أو غيرها وينجب أطفالا!

لا..بل طموحاته أصبحت أعلى من هذا، هو أصبح جزءًا من كيان معين، لم يعد يفكر كفرد، بل أصبح يفكر في منظومة- في أمته- فيسمع هذه الكلمات فيبدأ يُستثار، ويبدأ يفكر ويقول: أنا أريد عمل أشياء كثيرة لهذه الأمة، خاصة بعدما يسمع دروس حماسية مثلاً سواء لمشايخ سعوديين مثل الشيخ خالد الراشد – فك الله أسره- أو من الدكتور حازم شومان –حفظه الله- فلما يسمع مثلاً دروسًا كهذه يبدأ يرى أنه بحاجة لأن يقدِّم شيئًا، لكن ربنا سبحانه وتعالى –حتى لا يأخذنا هذا الحماس- ونبدأ نراقب أنفسنا ونحاسبها هل نحن نمشي على طريق الإصلاح أم لا؟ هل نحن على خطى الإصلاح الصحيحة؟

أحياناً عندما يسمع الإنسان دروسًا كهذه يبدأ يقفز خطوات للإصلاح، يتجاوز خطوات مهمة بدونها لن يتم الإصلاح.

لكن، طريق الإصلاح طريق رسمه الأنبياء، ليس فيه استعجال، من سيتعجل خطوة قبل خطوة من الممكن أن يُفسِد.

فربنا سبحانه وتعالى وصف لنا جيل الإصلاح في القرآن بوصفين أساسيين جدا هناك أوصاف كثيرة طبعاً، لكن أخبرنا بوجود أوصاف مهمة لا بد أن يتخلَّق بها جيل الإصلاح، وقال لنا أن غياب هذه الأوصاف في جيل تجعلك لا تعوّل على هذا الجيل، مهما كان فيهم قوة أو نباهة أو ذكاء أو ثقافة برؤية

لهم، لكن هناك صفات معينة لو غابت لا تعوّل على هؤلاء، والله عز وجل سمى الجيل الذي تغيب منه هذه الصفات سماهم بوصف معين.

أولًا نذكر صفات المصلحين قال ربنا سبحانه وتعالى {والذين يمسكون بالكتاب وأقاموا الصلاة إنا لا نضيع أجر} (الأعراف ١٧٠) "الصالحين" صح؟؟ لا {إنا لا نضيع أجر المصلحين} (الأعراف ١٧٠)

مع أن جمهور المفسرين قالوا معنى {يمسكون} (الأعراف ١٧٠) أي يتمسكون في ذاتهم وليس من يمسك غيره –وهذا القول الأقل انتشارًا في التفاسير– لكن القول الأكثر انتشاراً أن يمسكون أي يتمسكون –والتاء محذوفة– يتمسكون بالكتاب هو يتمسك بالكتاب، يقول : (تركت فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلوا...الحديث).[١]

الوصف الثاني: {وأقاموا الصلاة} (الأعراف ١٧٠) وليس "صلوا" سنتكلم الآن عن الفرق بين "أقاموا الصلاة" و"صلوا" الأوصاف هذه أوصاف صلاح لا إصلاح... وبالرغم من ذلك يقول ربنا سبحانه وتعالى في ختام الآية: {إنا لا نضيع أجر المصلحين} (الأعراف ١٧٠) أي لا يُتَصوَّر إصلاح بدون هذه الصفات أساسًا لا يمكن للإنسان أن يتحول إلى مصلح بدون تمسك بالقرآن وبدون الحفاظ على الصلاة.

ربنا سبحانه وتعالى وصف الجيل الذي تغيب عنه هذه الصفات سماه خلف {فخلف من بعدهم خلف} (الأعراف ١٦٩) والخلف هو الجيل الفاسد.

اللبن الذي يترك فترة طويلة وتخرج منه رائحة ويفسد فيُلقى لا قيمة له يسمونه الخلف، شيء كالمخلفات ترمى، لا قيمة له.

{فخلف من بعدهم خلفٌ} خلف من بعدهم خلفٌ الجملة هذه جاءت مرتين في القرآن، مرة في سورة مريم ومرة في سورة الأعراف..

الآية في سورة مريم: {فخلف من بعدهم خلفٌ أضاعوا الصلاة واتبعوا الشهوات} (مريم ٥٩)

[١] ٣- تركتُ فيكم أمرينِ؛ لن تَضلُّوا ما إن تمسَّكتُم بهما: كتابَ اللهِ وسُنَّتي، ولن يتفرَّقا حتَّى يردِا عليَّ الحوضَ الألباني (ت ١٤٢٠)، منزلة السنة ١٣ • إسناده حسن •

والتي في سورة الأعراف: {فخلف من بعدهم خلفٌ ورثوا الكتاب} (الأعراف ١٦٩) أناس تعاملوا بشكل خاطئ مع القرآن، وأناس تعاملوا بشكل خاطئ مع الصلاة، والتعامل الصحيح جمع في سورة الأعراف: {والذين يمسكون بالكتاب وأقاموا الصلاة إنا لا نضيع أجر المصلحين} (الأعراف ١٧٠) من سيترك الصلاة لم يقل تعالى عنهم: "تركوا الصلاة" بل قال {أضاعوا الصلاة} (مريم ٥٩) والذين صلوا ربنا قال عنهم {أقاموا الصلاة} (الأعراف ١٧٠) لأن الإنسان ممكن أن يصل لحالة اللامبالاة مع الصلاة، هو يصلي لكن عندما يذكره أحد بالصلاة، يجمع الصلوات مع بعضها، هي ليست جزءًا من اهتماماته...فهو يحتاج الى إقامة الصلاة، المباني العالية تحتاج إقامة، أقام المبنى، والصلاة مبنى كبير في حياتك يحافظ عليك.

من الأحاديث الذي يمكن أن يكون له علاقة بالدرس أو لا، حديث أول مرة اقرأ هذه الرواية له، وأثرت فيَّ جداً، أنا دائماً أسمع حديث: (أعوذ بك من قلب لا يخشع و من نفس لا تشبع ومن دعاءٍ لا يسمع ومن عينٍ لا تدمع) [٢]أول مرة اقرأ زيادة في سنن أبي داود وحسنها الشيخ الألباني، قال: (وأعوذ بك من صلاةٍ لا تنفع) [٣]فهناك صلاة لا تنفعك لا في دنياك ولا في أخراك، لا في حل همومك ومشاكلك ولا في إنقاذك في الآخرة، يوجد صلاة هكذا، والنبي صلى الله عليه وسلم استعاذ منها، لا يريدها (أعوذ بك من صلاة لا تنفع) [٤]وهو من كان عن صلاته ساهٍ، من معاني: {عن صلاتهم ساهون} (الماعون ٥) أي عما تأمرهم به صلاتهم غافلون {فويلٌ للمصلين الذين هم عن صلاتهم} (الماعون ٤-٥) أي عن مقتضى الصلاة، الصلاة لها متطلبات {إن الصلاة تنهى} (العنكبوت ٤٥) الصلاة لها متطلبات منك، عندما تصلي تقول: "الله أكبر" وتسجد، وتركع، الصلاة تطلب منك طلبات معينة {إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر} (العنكبوت ٤٥) هي التي تنهى عن الفحشاء والمنكر فأنت تستجيب للصلاة. {وأقم الصلاة إن الصلاة تنهى} (العنكبوت ٤٥) ليست أي صلاة. إن الصلاة المقامة أقرأ الآية مرة أخرى {أقم الصلاة إن الصلاة} (العنكبوت ٤٥) أي الصلاة المقامة ليست

---

[٢] ٢- [عن عبد الله بن عمرو وأبي هريرة وأنس بن مالك:] اللهمَّ إنِّي أعوذُ بك من قلْبٍ لا يخشعُ، ومن دعاءٍ لا يُسْمَعُ، ومن نفْسٍ لا تشبعُ، ومن علْمٍ لا ينفعُ. وأعوذُ بك من هؤلاءِ الأربَعِ
الألباني (ت ١٤٢٠)، صحيح الجامع ١٢٩٧ • صحيح •

[٣] [لفظه نفس لفظ الحديث ١ مع اختلاف في الحركات أو علامات الترقيم]

٢- [عن أنس بن مالك:] أنَّ رسولَ اللهِ ﷺ كانَ يقولُ: اللَّهمَّ إنِّي أعوذُ بِكَ مِن صلاةٍ لا تنفَعُ، وذَكَرَ دعاءً آخرَ
الألباني (ت ١٤٢٠)، صحيح أبي داود ١٥٤٩ • صحيح • أخرجه النسائي (٢٦٣/٨)، وأحمد (٢٥٥/٣)، وابن حبان (٢٨٤/١) بمعناه.
•

[٤] سبق تخريجه

أي صلاة، بل التي أقيمت حقيقة، البناء الذي بني بشكل صحيح، {إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر} (العنكبوت ٤٥) فربنا سبحانه وتعالى يخبرنا أن إضاعة الصلاة كانت الوصف الأول للجيل الفاسد، {فخلف من بعدهم خلف} (مريم ٥٩) سورة مريم {فخلف من بعدهم خلفٌ أضاعوا الصلاة} (مريم ٥٩). ما معنى ضيع الصلاة؟ أي لم تعد شيئًا مهمًا في حياته، ضاعت، أنت تعلم عندما يضيع منك شيء، لأنك لم تكن تهتم به، الشيء الذي يضيع منك أنت لم تخبئه، لم تعين له مكان، لست مهتمًا به، لا تراجع نفسك عليها كل فترة، فهي ضاعت منك!

{أضاعوا الصلاة} (مريم ٥٩) فلما أضاعوا الصلاة –ولم تضع منهم الصلاة بل هو من تسبب في ضياعها هو الفاعل {أضاعوا الصلاة} (مريم ٥٩)– فلما أضاع الصلاة طبيعي أنه أصبح يتبع الشهوات؛ لأنه أصبح بلا مناعة.

الصلاة بمثابة لك، الصلاة الصحيحة، الذي يصلي الخمس فروض صحيحة يكون عنده مناعة ضد الشهوات.

فلما ضيع الصلاة فقد المناعة، أصبح تابع {واتبعوا الشهوات فسوف يلقون} (مريم ٥٩) آخر الطريق هذا الغي والعياذ بالله سواء في الدنيا أو في الآخرة، والآثار المروية أنه واد في جهنم أغلبها ضعيفة، الشاهد أن الغي عذاب معين.

ربنا سمى عذابه {فسوف يلقون غيا} (مريم ٥٩). من معاني "الغي" في اللغة الغي بمعنى الضلال أو الإنسان المخدوع، من معاني أصل الكلمة في اللغة أن العرب كانت عندما تصطاد فريسة معينة يحضرون مثلاً خروف ويشوونه ويضعونه في حفرة حتى يصطادوا ثعلبًا أو ذئبًا، فيشم رائحة الخروف في الحفرة، ويغطون الحفرة بورق شجر لتبدو كالأرض بحيث يسقط فيها الذئب، هذا الفخ– الحفرة– يسمونه "الأغوية" هي التي تغوي الذئب، يشم الرائحة، فيمشي وراءها لأنه لا يملك مناعة تمنعه، جوعان، فالذئب أو الثعلب يتتبع الرائحة فيسقط في الحفرة.

هذا الذي لا يصلي، تصبح أي شهوة تمر عليه تجده يمشي وراءها، تابع لها فيسقط في الغي، {أضاعوا الصلاة واتبعوا الشهوات} (مريم ٥٩) فيسقط في الغي فمن يضيع الصلاة أية شهوة تمر عليه يسقط فيها، أية شبهة يقرؤها يقع فيها، قد تخدعه فتاة في أدنى مستوى من الجمال... تتعجب! ، ما الذي فعل بك هذا؟ لأنه بلا مناعة –أنا لا أقول إن من يحافظ على الصلاة سيقع في واحدة جميلة لا أقصد

هذا بالطبع-، أنا أقصد أن المشبع للصلاة مناعته ضعيفة جدًا، فأي شيء قد يغويه، {أضاعوا الصلاة واتبعوا الشهوات فسوف يلقون غيا} (مريم ٥٩) هذا الوصف الأول للجيل الفاسد الذي لا يعوَّل عليه في الإصلاح.

لما يأتي إليك جيل ويقول: نحن جيل الإصلاح و، و.، ولا تجده مقيم للصلاة! لا صلاة؛ أي الصلاة ليست ركنًا أساسيًا في حياته، كيف سيصلح؟ ربما سيُصلح لكن ليس على منهج القرآن، فهذا إذًا ليس الإصلاح القرآني الذي يريده ربنا سبحانه وتعالى، ليس هذا، فأي جيل أنت تأمل فيه الخير؛ ولا يحافظ على الصلاة، ليس هو الجيل المصلح.

أول ما فرضت الصلاة فرضت في السماء فهي عبادة عالية جداً، فالصلاة نحتاج كل فترة أن نكرر، حتى لمن يصلي، (كان النبي صلى الله عليه وسلم يستعيذ من صلاةٍ لا تنفع) [٥]كل فترة الإنسان محتاج يحاسب نفسه كيف صلاتي؟ ولا يتحول إلى حالة اللامبالاة مع الصلاة.

إبراهيم عليه السلام يدعو فيقول: {رب اجعلني مقيم الصلاة} (إبراهيم ٤٠) تخيل!، النبي صلى الله عليه وسلم يقول: (أعوذ بك من صلاة لا تنفع) [٦]والخليل أبو الأنبياء يقول: {اجعلني مقيم الصلاة} (إبراهيم ٤٠) فما بالنا نحن إذًا؟ ولم نتعامل مع الصلاة كشيء عادي، بل الصلاة أمر يحتاج إقامة كما سماها الله عز وجل.

الوصف الثاني للجيل الفاسد {فخلف من بعدهم خلف} (مريم ٥٩) في سورة مريم: {فخلفٌ من بعدهم خلف أضاعوا الصلاة} (مريم ٥٩) فلما ضيع الصلاة {اتبعوا الشهوات فسوف يلقون غيا} (مريم ٥٩) هذا التطور الطبيعي لتارك الصلاة، الوصف الثاني في سورة الاعراف {فخلف من بعدهم خلفٌ ورثوا الكتاب} (الأعراف ١٦٩) ورثوا الكتاب أي أخذوه بدون مشقة، تلقوا الكتاب اسماً لا معاناةً كحالنا نحن، نتلقى القرآن المكتوب في المصحف، ذهبي وأحمر ولونه بنفسجي وجميل بألوان مختلفة.. نحن تلقينا القرآن، لكن لم نعايش معاني القرآن، فنحن ورثنا القرآن

نحن ورثنا القرآن، لم نعايش معاني القرآن فآيات غزوة أحد في سورة آل عمران نحن نقرؤها لكن الصحابة عاشوها، آيات سورة التوبة نحن نقرؤها فقط، وأحيانًا عندما ترتفع همتنا قد نسمع تفسيرها، أما

[٥] سبق تخريجه
[٦] سبق تخريجه

هم عاشوا ذلك الوضع وتلك المعاني، عاشوا ساعة العسرة، نحن ممكن نحاول نفهم معنى ساعة العسرة :الحر وقلة الثمار والجدب وقلة العدد، ونحاول نشرح، هم عاشوا اللحظة هذه، هم عاشوا معاني القرآن، فأنت لو ليس لك واقع مماثل لواقع الصحابة؛ أنت لم تعايش القرآن، أنت ورثت القرآن، القرآن بالنسبة لك أشبه بقصص السابقين، أنت فقط تسمع أشياء لا علاقة لك بها.

فلما ورثوا الكتاب بهذه الطريقة ولم يعايشوا ويكابدوا آيات القرآن، النبي صلى الله عليه وسلم فيما يروى عنه قال حديث حسّنه بعض أهل العلم قال: (شيبتني هود)[٧]،عندما يتلقى الإنسان القرآن تلقيًا حقيقيًا تتغير حياته، يتغير جسمه، ولون شعره.

على سبيل المثال تجد الشاب قبل الزواج يستطيع الحركة بسهولة، إذا أراد الخروج مع أصدقائه يخرج، فلا مسؤولية خلفه، أما عندما يتزوج ويُنجب يكون مضطرًا للعمل ليأتي بمتطلبات أسرته ومصروفات الدراسة وأغراض الأطفال وهكذا، فيبدأ تفكيره بالتغيُّر، لم يعُد لديه وقت، ويصبح مهموما... تغيرت حياته. ولله المثل الأعلى.

فالذي يحمل هموم القرآن؛ تكون حياته مختلفة، تخيَّل النبي صلى الله عليه وسلم عندما يسمع هذه الآية تنزل عليه {تبارك الذي نزل الفرقان على عبده ليكون للعالمين نذيرا} (الفرقان ١) {كتابٌ انزلناه اليك لتخرج الناس من الظلمات إلى النور} (إبراهيم ١) تخيَّل وهو صلى الله عليه وسلم يسمع هذه الآيات تنزل عليه هو وأنَّ هذه من الوظائف مطلوبة منه صلى الله عليه وسلم، تخيَّل عندما يسمع هذه الآيات، ويسمع بطولات الأنبياء السابقين، وهو يُحب أن يتقرب إلى الله سبحانه وتعالى، ماذا تفعل فيه هذه القصص. تخيَّل عندما يسمع عما حدث مع نوح، مع إبراهيم، ومع صالح، ومع شعيب، تخيَّل وقع هذه الآيات على قلب النبي صلى الله عليه وسلم. فالذي لا يُعايش مثل هذه الهموم؛ هَمّ معرفة الله، هَمّ الدار الاخرة، هَمّ نُصرة الدين، هَمّ الوقوف في صف الحق ضد الباطل، هذه الهموم الذي لا يُعايشها هو أشبه بوارث الكتاب، الذي يكون القرآن بالنسبة له أمرًا عاديًّا مجرد قرآن فيه آيات نسمعها وحسب، ورثوا الكتاب فلما ورثوه بهذه الطريقة فأي شيء يقابلهم يأخذوه {يأخذون عرض هذا الأدنى} (الأعراف ١٦٩) أيّ شهوة دُنيوية... كحال تارك الصلاة الذي اتبع الشهوات، هُنا {يأخذون عرض هذا الأدنى} (الأعراف ١٦٩) أيّ فرصة دُنيوية تأتيه؛ رشوة –تأتيه حسب ما قيل في هذه الآية

[٧] ١٤- [عن عبد الله بن عباس:] قالَ أبو بَكْرٍ: يا رسولَ اللَّهِ أراكَ قد شِبتَ؟ قالَ: شيَّبْتني هودٌ، والواقعةُ، والمرسلاتُ، وعمَّ يتساءلونَ
ابن دقيق العيد (ت ٧٠٢)، الاقتراح ١٠٥ • صحيح •

رشوة في الحكم، أي مال من حرام يأتيه- {يأخذون عرض هذا الأدنى} (الأعراف ١٦٩) ويقولون - لأنه يقرأ القرآن ويعرف ما معنى المغفرة {سيُغفَر لنا} (الأعراف ١٦٩)، ما المشكلة؟ نحن تُبنا إلى الله ومن الممكن أن نُذنب ونتوب، أو لا بأس سوف ندخل النار قليلًا ثم نعود إلى الجنة في النهاية. فتارك الصلاة أو مُضيِّع الصلاة، الساهي عن الصلاة، هذا الوصف من الممكن أن نتصف به في أجزاء من حياتنا، أي اللامبالاة مع الصلاة، {أضاعوا الصلاة واتبعوا الشهوات} (مريم ٥٩) ووارث الكتاب الذي لم يرثه بحق، لم يأخذ القرآن بحقه. نحن للأسف لا نعلم قيمة القرآن تمامًا كمن يرث شيئًا غاليًا لا يعلم قيمته، النبي صلى الله عليه وسلم يقول -حتى تعلم مدى أهمية أن تفرح بالقرآن- يقول صلى الله عليه وسلم: (ما من نبي من الأنبياء إلا أوتي من الآيات ما على مثله ءامن البشر وإنما كان الذي أوتيته)[٨] أي أنَّ النبي صلى الله عليه وسلم يقول: أنَّ كل الأنبياء كان معهم آية بينة تدل على أنَّه نبي، إنما النبي صلى الله عليه وسلم كان معه شيء مختلف غير الآيات الحسية الخاصة بالأنبياء ولكن (إنما أوتيته وحيًا أوحاه الله إلي)[٩] بمعنى أنَّ آيات الأنبياء السابقين كانت حسية وآية النبي صلى الله عليه وسلم كانت معنوية، الوحي: وحيًا أوحاه الله إلي؛ فالنبي صلى الله عليه وسلم قال (أرجو أن أكون أكثرهم تابعًا يوم القيامة)[١٠] مرة أخرى؛ ما معنى هذا؟ لو سألتك

ما هي آية ومعجزة سيدنا موسى عليه السلام؟ العصا، اليد، آيات. وما هي رسالة سيدنا موسى وكتابه؟ التوراة.

ما هي آية ومعجزة سيدنا عيسى؟ هي إحياء الموتى، يُبرئ الأكمه والأبرص. وما هي رسالة سيدنا عيسى؟ الإنجيل.

ما هي معجزة النبي صلى الله عليه وسلم؟ القرآن.

المعجزة هي التي يُتحدَّى بها أي أنَّ سيدنا موسى عندما وقف أمام العالم وأمام فرعون والسحرة بم تحدَّاهم؟ بالعصا. سيدنا عيسى عندما تحدَّاهم وطلبوا منه آية بيّنة؛ آياته كانت إحياء الموتى ويُبرئ الأكمه والأبرص.

---

[٨] ١- ما من نبيٍّ من الأنبياء إلّا وقد أوتيَ من الآياتِ ما آمنَ على مثلِهِ البشرُ، وإنَّما كان الَّذي أوتيتُهُ وحيًا أوحاهُ اللهُ إليَّ، فأرجو أنْ أكونَ أكثرَهم تابعًا يومَ القيامةِ
ابن تيمية (ت ٧٢٨)، الجواب الصحيح ٣٨٠/٦ • صحيح

[٩] سبق تخريجه

[١٠] سبق تخريجه

النبي صلى الله عليه وسلم حدثت له آيات حسيّة، لكنها لم تكن هي مناط التحدي الأول، تسبيح الحصى والنبات والحيوان ، والإسراء والمعراج وغيرها، هو لم يتحدَّ بهذه الأشياء، كانت له آيات حسية، لكن التحدي كان قال لهم آتوني بماذا؟ بسورة وليس بعصا، وليس بحصى يُسبِّح كما سبّح الحصى معه صلى الله عليه وسلم، بل تحدَّاهم بالقرآن، فمعجزة النبي صلى الله عليه وسلم القرآن ورسالته أيضًا القرآن. فالذي حدث مع النبي صلى الله عليه وسلم مختلف عن كل الأنبياء حيث إنَّ الرسالة والمعجزة شيء واحد. كانت مع كل نبي رسالة ومعجزة، أي معه شيئين، سيدنا موسى بعد المعجزة مع فرعون ؛العصا واليد والتسع آيات عندما أقام دولة؛ أُوتي التوراة، أما النبي صلى الله عليه وسلم من أول لحظة في مواجهة أهل الباطل أُوتي القرآن، كان بداية التغيّر للنبي صلى الله عليه وسلم لما نُزّل عليه القرآن. لحظة إلقاء موسى للعصا أشبه بلحظات قراءة القرآن من النبي صلى الله عليه وسلم. هذه لحظة إلقاء المعجزة وهذه لحظة إلقاء المعجزة... أيضًا مشهد العصا الذي حدث في نفس اليوم الذي نعيشه في يومنا هذا – في مثل هذا اليوم حدث إلقاء عصا موسى لشق البحر– هذا المشهد أشبه بمشهد قراءة النبي صلى الله عليه وسلم للقرآن فأخذ بقلب جُبير بن مطعم، هذه معجزة وهذه معجزة، هذه لا يُطيقها البشر، وهذه لا يُطيقها البشر، هذه لا يستطيع البشر القيام بمثلها؛ أي عصا موسى، وأيضًا لا يستطيعون الإتيان بكلام كالقرآن... فتخيَّل ماذا لو وجدنا عصا موسى انظر كيف ستكون الفرحة، ستجد نفسك تسير في الشوارع تضرب بها وتَشُق البحر، وتكون سعيدًا بهذه الآية البيّنة التي معك، وتكون على استعداد أن تقابل أي أحد من أهل الباطل؛ أنا معي معجزة!

الله عزَّ وجل من رحمته بهذه الأُمة أنَّ معجزات السابقين كانت مرتبطة بأشخاص الأنبياء، فعندما مات سيدنا موسى لم يستعمل العصا من بعده أحد، لم يقل لفلان أنت تُمسك بالعصا من بعدي، فالمعجزة قد انتهت. لذلك يروى في بعض الآثار في الإسرائيليات، ذكر الإمام الطبري أثناء تفسير سورة البقرة في نفس المشهد الذي نَعيشه اليوم عندما اقترب سيدنا موسى من البحر وجيش فرعون خلفه فاضطرب الجيش– قبل أن يأتي الأمر لموسى عليه السلام أن اضرب البحر–، فتعجّل بعض الناس خائفين، فيُروى أنَّ بعض الناس وقيل أنَّه يوشع ابن نون، أخذ العصا من سيدنا موسى وركض بها وضرب البحر فلم يحدث شيئًا لأن هذه معجزة مَن؟ معجزة موسى عليه السلام.

وفي رواية قال البحر: مَن هذا الجبار الذي يضربني لم يأذن الله عزَّ وجل لي، فلما أتى الأمر لموسى ضرب البحر فشقّه.

الشاهد؛ ولو كان من الإسرائيليات، أنَّ المعجزة مرتبطة بشخص موسى؛ لذلك النبي صلى الله عليه وسلم قال في الحديث (وإنما كان الذي أوتيته وحيًا أوحاه الله إلي فأرجو أن أكون أكثرهم تابعًا)[١١] فمعجزة النبي مستمرة بعد موته صلى الله عليه وسلم، شعورك أنَّ الذي في جيبك هو معجزة أقوى من معجزة عصا موسى؛ لأن النبي صلى الله عليه وسلم قال هذا؛ أنا معجزتي أقوى من أي معجزة.

{ولو أن قرآنا} (الرعد ٣١) في أي سورة؟... سورة الرعد {ولو أن قرآنا سيرت به الجبال أو قطعت به الأرض أو كلم به الموتى} (الرعد ٣١) كثير من المفسرين يقول أنَّ هُناك محذوف تقديره هذا القرآن، أي لو أنَّ الله قدَّر لكلام أن يفعل فعل المحسوسات لقدَّر أنَّ القرآن يفعل فعل هذه المعجزات {ولو أن قرآنا سيرت به الجبال} (الرعد ٣١) قالوا هذا ما حدث مع بني إسرائيل حينما رفع فوقهم الجبل. {ولو أن قرآنا سيرت به الجبال أو قطعت به الأرض} (الرعد ٣١) قالوا هذا ما حدث مع موسى حينما شق البحر، {او كلم به الموتى} (الرعد ٣١) قالوا هذا ما حدث مع عيسى حينما أحيا الموتى، فلو أنَّ الله عزَّ وجل قدَّر لكلامٍ أن يفعل فعل المحسوسات لكان هذا القرآن يفعل فعل كل هذه المعجزات.

فتخيَّل أنك تملك في جيبك معجزة أي لا يستطيعها كل البشر، بل كل الإنس والجن لا يستطيعونها، تخيَّل! ونحن لا نشعر بهذه القيمة، لا نشعر بأن ما معنا هذا معجزة، أنَّ هذا القرآن الذي بأيديكم {يهدي للتي هي أقوم} (الاسراء ٩) {قال الرسول يا رب إن قومي اتخذوا هذا القرآن مهجورا} (الفرقان ٣٠) يتعجب النبي صلى الله عليه وسلم كيف لقومه أن يتخذوا معجزتهم مهجورة، كيف! هذه سرّ سعادتكم، {لقد أنزلنا إليكم كتابا فيه ذكركم} (الأنبياء ١٠) سورة الأنبياء ...أي فيه شرفكم، فكيف تُعرضون عنه!

فالشاهد ومُلخّص كل الحديث؛ كل وسيلة إصلاح لا تُقرّبنا من الصلاة ولا تُقرّبنا من القرآن فلا حاجة لنا بها، فلن تُنتج جيل الإصلاح، هذا جيل سوف يأخذ دورته وبعد ذلك ينتهي، لن يُقدم الإصلاح الذي يرضاه الله عزَّ وجل {وليمكنن لهم دينهم الذي ارتضى} (النور ٥٥)

يأتي التمكين بالدين الذي يرتضيه الرب سبحانه وتعالى

{وليمكنن لهم دينهم الذي ارتضى لهم} (النور ٥٥) فيكون التمكين على قدر تطبيق الدين الذي يريده الله سبحانه وتعالى ويرتضيه الملك سبحانه وتعالى.

[١١] سبق تخريجه

إذًا خرجنا {فخلف من بعدهم خلفٌ} (الأعراف ١٦٩) أي جيل فاسد ليس بمُصلح ...بصفتين {ورثوا الكتاب} (الأعراف ١٦٩) تعاملوا تعامل اللامبالاة مع القرآن وأضاعوا الصلاة، تعامل اللامبالاة مع الصلاة فعندما تجد نفسك تقول أنا أتمنى أن أفعل شيئًا لنُصرة الدين ثم تجد نفسك مُضيعًا للصلاة وللقرآن؛ أنت تحتاج ضبط، أنت تجاوزت مرحلة مهمة، أنا لا أُقلل من حماستك ولا أُقلل من نيتك لنصرة الدين، بل بالعكس، قد يكون هناك الكثير من الناس لديهم حماسة أقوى بكثير من بعض الدُّعاة لكن الشاهد أنَّ الطريق الصحيح والبداية الصحيحة بإقامة الصلاة، وبمعايشة القرآن. بإقامة الصلاة {وتوكل على العزيز الرحيم الذي يراك حين تقوم} (الشعراء ٢١٧) حينما تقوم في صلاتك بالقرآن بالليل حتى تكون قد حققت التوكل {وتوكل على العزيز الرحيم الذي يراك حين تقوم} (الشعراء ٢١٧) حين تقوم تقرأ القرآن بالليل وحدك، تقوم وحدك بالقرآن، جمعت الصلاة مع القرآن في قيام الليل.

أسال الله عزَّ وجل أن يستعملنا ولا يستبدلنا. أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم سبحانك اللهم وبحمدك أشهد ألا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك جزاكم الله خيرًا.